المحاضرة السادسة

النسق الثقافي في المجتمع السعودي

مقدمة :

تعرف الثقافة في علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا بأنها (ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات والقيم والأخلاق والقانون والعادات وأي قدرات اخرى أو عادات يكتسبها الانسان بوصفه عضواً في المجتمع).

وتتكون الثقافة عند بعض علماء الاجتماع (سوركين) من ثلاث مستويات من الظواهر الثقافية وهي :

١- المستوى الأيدلوجي (أي القيم والمعاني والمعايير)
٢- والمستوى السلوكي (أي تلك الأعمال التي تجعل من الجانب الأيدلوجي في الثقافة شيئاً اجتماعياً وموضوعياً)
٣- والمستوى المادي (وهو يشمل الوسائل الاخرى لإظهار الجانب الأيدلوجي وجعله اجتماعياً .

وقد حاول الباحثون في (علم الاجتماع والأنثروبولوجيا) تحليل الثقافة إلى عناصر جزئية ومضامين بنائية مع تحليل العلاقات والترابط بين هذه العناصر .

وكان أول ما اتجهت إليه انظارهم هو تصنيف عناصر الثقافة إلى عنصرين متميزين وهما :

الثقافة المادية : وهي من صنع الانسان ـ وتشمل وسائل الإنتاج وأساليبه والأحداث المصنوعة منه .

الثقافة اللامادية : وتظهر بصورة جلية في المعتقدات والقيم والمعايير السائدة في المجتمع .

ويعد الجانب الثاني للثقافة وهو الجانب غير المادي له من الاهمية في عملية التفاعل الاجتماعي وتحديد العلاقات والمراكز والمكانات الاجتماعية لأفراد المجتمع ، وهو من أهم مكونات النسق الثقافي الذي يدخل في مضمون كل الظواهر الاجتماعية بمختلف الانساق الاجتماعية .

وبذلك يحدث اندماج وتداخل وانسجام ، او يحدث تنافر وصراع بين الانساق الاجتماعية المتعددة المكونة للبناء الاجتماعي ، ونستطيع أن نجمل أهم العناصر المحددة للنسق الثقافي للمجتمع السعودي بما يأتي :

أولاً : العادات الاجتماعية في المجتمع السعودي

وهي سلوك اجتماعي قهري ملزم ، يدخل في تكونيها قيم دينية وعرفية تجعل الأفراد يسايرون المجتمع ويوافقونه بالسلوك في مختلف الأحداث والمواقف الاجتماعية المتكررة ، كعادة إكرام الضيف ، وعادات الزواج ، وعادات التنشئة الاجتماعية ويُعد الخروج عن المألوف من العادات تمرداً على المجتمع وانحلالاً . وتتميز العادات الاجتماعية بأنها تلقائية وعامة ، يعملها الأفراد في مختلف طبقات ومستويات المجتمع وأنماطه الحضرية والريفية . وهي تختلف عن التقاليد التي تستمد من الأجيال السابقة ، والتي غالباً ما تكون مختصة بإقليم معين أو طبقة معينة كتقاليد الطبقة العليا ، أو تقاليد القبيلة ، أو تقاليد البادية ، أو تقاليد القرى أو تقاليد الاحتفالات الخاصة بمنطقة معينة ....وغيرها ويطلق عليها احياناً العادات التقليدية .

وكل ما ذكر عن العادات والتقاليد يختلف تماماً عن (الموضات Fashions) التي يعبر عنها بعض الباحثين الاجتماعيين باسم " العادات المستحدثة ”

والتي تعني سلوكيات تجتذب بعض الأفراد في المجتمع إليها ، وتتعلق بالشكليات والكماليات ، وهي وقتية وعابرة وسريعة التغير بل سريعة الزوال لأنها لا ترتبط بتراث المجتمع وتاريخه ، بل انتقلت إليه بطريقة افقية من مجتمعات معاصرة .

وقد تناولت بعض الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجي والتطبيقية عادات المجتمع السعودي ، وتبين مثلاً أن بعض القبائل(كما في وادي فاطمة) ما تزال متمسكة ببعض العادات الموروثة التي لا تسمح بتزويج الفتاة من خارج القبيلة مثل قبيلة الاشراف .

وكذلك بعض العادات التي خفت حدتها وطرأ عليها بعض التغير ، ومن أهمها العادات التي لا تسمح بزواج البنت الصغرى قبل اختها الكبرى ؛ حيث كان من المعتاد في المجتمع أن لا تتزوج البنت الصغرى قبل اختها الكبرى . أما الآن فقد خفت هذه القيود وأصبح من المألوف أن تتزوج البنت الصغرى قبل الكبرى نتيجة لانتشار التعليم بين الفتيات وزيادة الوعي والأخذ برأي الفتاة في الشاب الراغب في الزواج منها ، ورغبة البعض في مواصلة تعليمهن قبل الزواج . كذلك تبين أن هناك كثيراً من العادات الغيت من قبل المجتمع - فقد انتهت العادات التي تمنع خروج المرأة من بيتها بعد الزواج إلا بعد مضي عام على زواجها ، فقد اصبح من المألوف أن تخرج العروس بعد الزواج من أول يوم لزيارة الاهل والاقرباء أو للعمل كالتدريس والطب . وأبرزت الدراسات السعودية بعض العادات المستحدثة (الموضات) في ظاهرة الزواج في المجتمع السعودي ، من اهمها تقديم العريس لأهل العروس الشبكة ، ولبس دبلة الخطوبة .

<u>ومن ناحية أخرى تبين أن من أهم العادات الاجتماعية التي حدث فيها التغيير بالمجتمع السعودي هي :</u>

١- العادات المرتبطة بالتنشئة الاجتماعية للأولاد ، خاصة ما يتعلق بالمصارحة والمزاح ، فالعادة كانت أن لا يمزح الاولاد مع ابائهم ويسود العلاقة بينهم الاحترام الشديد والتباعد ، خوفاً من أن تؤدي كثرة المزاح مع الأولاد إلى تطاول الابن على سلطة الاب ويسهل التمادي في عصيانه ، كما أن العادة أن يتحاشى الأولاد مصارحة آبائهم في حل مشكلاتهم الشخصية خوفاً من عقاب الأب ،

ولكن في هذه الفترة المتغيرة ولعوامل متعددة متعلقة بأسلوب التربية والتعليم للآباء طرأ على هذه العادات كثير من مظاهر التغير ،حيث بدأت الهوة تضيق بين الاولاد والاباء ،وبدأ يظهر المزاح في سلوك الأولاد مع آبائهم .

كما بدأ الاولاد يتجهون – خاصة الذكور – في حل مشكلاتهم إلى آبائهم بينما الأناث مازلن يتحاشين آباءهن ، وكثيراً ما يلجأن إلى امهاتهن أو شقيقاتهن .

٢- التغير في العادات المتممة للزواج

فالعادة في الفترة المستقرة قبل فترة التغيرالاجتماعى أن الزواج يتم بين الطرفين بدون شروط ، ويعيب المجتمع على الأسر التي تحدد شروطاً لإتمام زواج بناتها بينما شاع في هذه الفترة المتغيرة بعض العادات المستحدثة في إتمام عملية زواج بناتها ، ومن أهمها شرط المسكن المستقل ، أو شرط عمل المرأة وتعليمها ، وكذلك شرط التعرف على الآخر .

<u>ثانياً : التقاليد في المجتمع السعودي</u>

لقد تبين من المبحث السابق أن العادات (عامة على مستوى المجتمع ، وهي إجبارية وقاهرة على الفرد تلزمه على إتباعها)، وهذا يختلف عن التقاليد التي لا ترتبط بالمجتمع ككل ، وإنما هي طائفة من قواعد السلوك الخاصة بطبقة معينة ، أو ترتبط ببيئة محلية محدودة النطاق وهي أقل إلزاماً من العادات ، وينقلها جيل لآخر بطريقة منتقاة ، بمعنى أنه قد ينقل بعض التقاليد ويترك بعضها . وهذا خلاف العادات التي تتميز بقوة الجزاء عند عدم مراعاتها واتباعها .

ومن أهم التقاليد السعودية التي انتهت تقريباً وأبرزتها الدراسات الأنثروبولوجية في المنطقة الجنوبية تقاليد ختان الذكور في (سن الخامسة أو السادسة)، حيث يمسك الطفل في يده سيفاً أو خنجراً ويقف في حلقة دائرية من الرجال والأطفال فوق سن السادسة ، وتقف أمه في مكان يستطيع هو رؤيتها ، كأن تقف على سطح الدار ،تشجعه وتحثه على الصبر والشجاعة ، وعند وصول (المطهر) الرجل الممتهن عملية ختان الأولاد يحمل الموسى والأدوات الخاصة بإجراء العملية يقول الطفل أنا فلان ابن فلان وخالي فلان بن فلان ، ثم يرفع ثوبه بيده ، ويمسك السيف أو الخنجر بالأخرى ، ويتقدم المطهر، وعلى الطفل أن لا يتحرك أو يبكي ، أو يظهر تألمه ؛ لأنه إن فعل ذلك سبب عاراً لأسرته ، وعند بقاء الطفل شجاعاً متزناً ترفع أمه راية بيضاء على سطح الدار ، وتطلق الأعيرة النارية ، وهذا التقليد كان سائداً من أجل تنمية روح المقاومة والصبر ، عندما كانت القرى تعتمد على رجالها في الدفاع ضد المعتدين.

أما التقاليد الخاصة بالموتى فهي :

تقليد ملابس المأتم وهو لباس محدد تلبسه النساء كان قبل عشرين عاماً ابيض ثم أصبح اسود بسبب التأثر بالمجتمعات الخارجية وخاصة المجتمع المجتمع المصري . كذلك هناك تقليد ما زال قائماً وهو قطع العزاء حيث يقدم الطعام وتقدم القهوة .

ثالثاً : الأعراف في المجتمع السعودي

العرف أو كما يطلق عليه في الدراسات الاجتماعية و الأنثروبولوجية القانون العرفي المتفق عليه في الجماعة ، هو نظام اجتماعي غير مكتوب ، يتكون من المعتقدات والأفكار المستمدة من فكر الجماعة وتراثها وعقيدتها .

ويتمثل العرف في معايير اجتماعية تحدد الأفعال المرغوبة وغير المرغوبة والسلوك الصحيح والخطأ بالنسبة لثقافة المجتمع .ويحدد العرف بالعلاقات ما هو جائز وما هو غير جائز ، كما يحدد العرف في كثير من الأحيان نوعية العقوبات التي يمكن أن تحدث للشخص جراء تعديه على الأعراف ،

ويتميز العرف عن العادات التي ذكرناها سابقاً ، أنه أشد قوة وإلزاماً من العادة ، نظراً لارتباطه بنواحٍ عقائدية يؤمن بها المجتمع في مرحلة من المراحل التي مرت به ، بصرف النظر عن صواب هذه العقيدة أو خطأها .وقد يطرأ على العرف ما يطرأ على العادة من ضعف او تغير .

ومن أهم الأعراف في المجتمع السعودي

الأعراف المنظمة للعلاقات بين الاقارب في النسق القرابى ، فبعضها مازال قائماً جلياً وبعضها ضعف وتبدل بسبب المتغيرات الحضرية التي طرأت على المجتمع السعودي ، فمن الأعراف التي ما زالت قائمة وقوية عدم الالتجاء للمحاكم أو الشرطة في حل الخلافات للأفراد الذين يقصرون نحو قرابتهم في أوقات الضرورة والعجز والشيخوخة بالسخرية والاستهزاء والتهكم على كل من يقترح إدخال قريب له دار الرعاية الاجتماعية .

ومن الأعراف التي خفّت حدتها في المجتمع السعودي

بين الأقارب أو انتهت فاعليتها تقريباً ذلك العرف الذي يفرض (الزواج من الأقارب)،أو العرف الذي يفرض على الأبناء(السكن مع والديهم)، أو العرف الذي يفرض على الأبناء (تسمية اولادهم)على ابآئهم أو اجدادهم ،أو العرف الذي يمنع (رؤية الخاطب لزوجته) قبل ليلة الزفاف ، أو العرف الذي يمنع (زيارة الأقارب من الإناث) ، وانتهى العرف الذي يمنع أو يحد من زيارة الفرد لأصهاره (أهل زوجته) ولكن مازال هناك بعض الأعراف قائمة وقوية ، فمثلاً

فيما يتعلق بحالات الزواج التي تنتهي بالطلاق بسبب عدم قبول الخصائص الجسمية للآخر ـ يمنع العرف الإعلان للآخرين عن السبب الحقيقي للطلاق ، ويلزم العرف المستمد من الشرع هؤلاء الأزواج أن يقولوا عند حدوث شيء من هذا (التوفيق من الله) دون أن يظهروا السبب الرئيسي .

ومازال العرف في المجتمع السعودي قوياً في تحديد علاقات المصاهرة والاختيار للزواج ، ويضع مقياساً للتكافؤ العائلي ، فهو يحدد المستويات الاجتماعية للأسر ، ويعاقب المجتمع بالسخرية والاستهزاء وأحياناً بالقطيعة كل من يزوج أو يتزوج من أسرة لا يتكافأ معها بالمكانة والمستوى الاجتماعي .

وكشفت بعض الدراسات السعودية أن هناك اعرافًا ذات طابع اقتصادي

تمنع الأفراد من (بيع ممتلكاتهم الموجودة في القرى) ؛ فبيع الأرض أو العقار يعني البيع للقبيلة كلها ، وغالباً ما تتدخل الأسر القريبة في هذا الموضوع ، فتحاول إثناء الفرد عن بيع ممتلكاته ،وذلك بتقديم المساعدات اللازمة له ، وإن عجزت عن ذلك قامت بمقاطعته نهائياً ، واعتباره عنصراً شاذاً في وحدته الاجتماعية .

أسئلة المحاضرة :

س١: عرف / عرفي المصطلحات التالية الأعراف ، العادات

العادات :

وهي سلوك اجتماعي قهري ملزم ، يدخل في تكونيها قيم دينية وعرفية تجعل الأفراد يسايرون المجتمع ويوافقونه بالسلوك في مختلف الأحداث والمواقف الاجتماعية المتكررة ، كعادة إكرام الضيف ، وعادات الزواج ، وعادات التنشئة الاجتماعية ويُعد الخروج عن المألوف من العادات تمرداً على المجتمع وانحلالاً . وتتميز العادات الاجتماعية بأنها تلقائية وعامة ، يعملها الأفراد في مختلف طبقات ومستويات المجتمع وأنماطه الحضرية والريفية . وهي تختلف عن التقاليد التي تستمد من الأجيال السابقة ، والتي غالباً ما تكون مختصة بإقليم معين أو طبقة معينة كتقاليد الطبقة العليا ، أو تقاليد القبيلة ، أو تقاليد البادية ، أو تقاليد القرى أو تقاليد الاحتفالات الخاصة بمنطقة معينة ....وغيرها ويطلق عليها احياناً العادات التقليدية .

الاعراف:

العرف أو كما يطلق عليه في الدراسات الاجتماعية و الأنثروبولوجية القانون العرفي المتفق عليه في الجماعة ، هو نظام اجتماعي غير مكتوب ، يتكون من المعتقدات والأفكار المستمدة من فكر الجماعة وتراثها وعقيدتها .

ويتمثل العرف في معايير اجتماعية تحدد الأفعال المرغوبة وغير المرغوبة والسلوك الصحيح والخطأ بالنسبة لثقافة المجتمع .ويحدد العرف بالعلاقات ما هو جائز وما هو غير جائز ، كما يحدد العرف في كثير من الأحيان نوعية العقوبات التي يمكن أن تحدث للشخص جراء تعديه على الأعراف ،

ويتميز العرف عن العادات التي ذكرناها سابقاً ، أنه أشد قوة وإلزاماً من العادة ، نظراً لارتباطه بنواحٍ عقائدية يؤمن بها المجتمع في مرحلة من المراحل التي مرت به ، بصرف النظر عن صواب هذه العقيدة أو خطأها .وقد يطرأ على العرف ما يطرأ على العادة من ضعف او تغير . **ومن أهم الأعراف في المجتمع السعودي** الأعراف المنظمة للعلاقات بين الاقارب في النسق القرابى